جامعة 8 ماي 1945 قالمة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات

التخصص: الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة ماستر1

مقياس: نظريات الاتصال الجماهيري2

المحاضرة رقم (04)

نظرية الحتمية التكنولوجية

يقدم هذا النموذج تصورات نظرية وبعض الافتراضات الأساسية عن التأثير الكمي لوسائل الإعلام وثقافته في المجتمع.

1. وسائل الإعلام امتداد للحواس

وفرضه الأول هو " **أن الناس يتكيفون مع بيئتهم في كل عصر من خلال توازن ونسبة محددة لاستخدام الحواس وصلتها بالوسيلة الاتصالية الرئيسية التي يستخدمونها، والتي ينتج عنها نسبة استخدام لحاسة معينة ذات صلة بتنوع الوسيلة المستخدمة**".

ويعتقد ماكلوهان بأن ذلك صحيح لأن كل وسيلة اتصالية إنما هي امتداد للواقع الإنساني ومن ثم فإن وسائل الاتصال سوف تبالغ في استخدام هذه الحاسة المعينة أو تلك. ومهما كانت نوعية الوسائل السائدة فإنها ستؤثر على الطريقة التي يرى الناس بأنها العالم. فقبل اختراع الصحافة المطبوعة، كان الناس القبليون (أفراد القبيلة) أناسا اتصاليين ذوي توجه سمعي. فقد كانوا قريبين من بعضهم عاطفيا وشخصيا. وقد عزز وشجع استخدام الألف باء عادة تصور البيئة بطريقة حيزية (مكانية). وخلقت تكنولوجيا (غوتنبرغ) اختراع الطباعة تفجرا في المجتمع بفضل وتفريق الفرد عن الفرد الآخر. وأما العصر الإلكتروني فقد خلق تفجرا ردّ العالم مرة أخرى إلى كونه قرية عالمية، حيث تم اختراع أجهزة الاتصالات التي تصل بين أطراف العالم.

2. الوسيلة هي الرسالة:

أما الافتراض الثاني لدى ماكلوهان والمعروف بـ "الوسيلة هي الرسالة"، فهذا يعزى إلى قوة التأثير العام الذي تملكه الوسيلة الإعلامية بمعزل عن مضمونها. ويدّعي ماكلوهان بأن مضمون الاتصال غير ذي

علاقة بالتأثير. فالذي يجعل هناك فرقا في حياة الناس إنما هي الوسائل السائدة في عصر ما وليس مضمونها".

3. **الوسائل الباردة والوسائل الساخنة**:

أما الافتراض الأخير، فيتمثل في التفريق بين ما سماه بوسائل الاتصال الساخنة ووسائل الاتصال الباردة.

فهو يرى بأن الوسائل الساخنة هي تلك التي تشتمل على معلومات كاملة وتفصيلات كثيرة، ففي الوسائل الساخنة، يكون المتلقي بحاجة أقل ليصبح معنيا باستكمال المعلومات الناقصة. وينسب ماكلوهان إلى **الوسائل الساخنة** أنها ذات **مشاركة منخفضة** ويمثل عليها **بالراديو والسينما.**

ومن جانب آخر، فإن الوسائل الباردة تستدعي الأفراد للمشاركة في استكمال تستدعي الأفراد للمشاركة في استكمال المعلومات الناقصة بإدراكهم الحسي وهذه الدرجة العالية من المشاركة تخلق استغراقا صحيا.

والتلفزيون ـ الوسيلة الباردة ـ يمد المشاهد برسم فقط عبلا نقاط ضئيلة مضاءة، ولإدراكها حسيا **سيملأ المشاهد بين هذه النقاط البصرية على الشاشة.** وسيصبح الفرد بإدراكه الحسي **معنيا بالحافز**، والتمييز هنا هام، إذ يرى ماكلوهان بأنه أساسي فيما يتعلق بالتأثير على المجتمع.

وير ماكلوهان بأن إحكام الوثاق على حاسة واحدة يميل إلى إحداث تأثير التنويم وأن تبريد كل الحواس سينتج عنه الهلوسة، لذا يعتقد أن التلفزيون يغير نسيج المجتمع، ولذا فإنه لم يجئ بدون مشاكل. وقد أوضح بأن التحويل من وسيلة إلى أخرى يخلق ضغطا شديدا على المجتمع. وعلى سبيل المثال، فإن الوسائل الساخنة مثل الراديو إذ أدخلت إلى ثقافات تعودت على الوسائل الباردة، مثل الثقافات القبلية أو غير المتعلمة يمكن أن تحدث فيها رد فعل عنيف.

كذلك، فإنه مطلوب إعادة توجيه المجتمعات الساخنة ـ مثل المجتمعات الغربية ـ لتتكيف مع إدخال وسائل باردة جديدة مثل التلفزيون في تلك المجتمعات المضطربة إلى أبعد مدى.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات

التخصص: الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة ماستر1

مقياس نظريات الاتصال الجماهيري2.

المحاضرة رقم (05)

نظرية المؤشرات الثقافية وتحليل الإنماء (Gerbner, G, 1967):

تربط هذه النظرية بين محتوى الاتصال الجماهيري وبين تأثيراته المحتملة على الأفراد والمجتمع. فهي من منظور وظيفي تمكن من معالجة محتوى وتأثيرات وسائل الاتصال وخاصة منها التلفزة. إن أتباع هذه النظرية (الذين أطرتهم مدرسة "أننبرغ" للاتصال) يعملون على البرهنة بأن للتلفزيون تأثير في تكوين الرأي العام على المدى البعيد، وذلك بزرع (مثل المزارع الحقيقي في ميدان الفلاحة)، مواقف، أذواق واختيارات الجمهور ... وبكلمة واحدة (صورته). ولهذا أطلق على اسهامات عميد مدرسة " أننبرغ " (جربنر) وأتباعه (.. ***Gross, Morgan, Signorielli***): نظرية المؤشرات الثقافية وتحليل الإنماء أو " الزرع " (الخاص بثقافة التلفزيون). وهم يرون بأن العالم المقدم من طرف التلفزيون هو عالم مخترع ووهمي لا تكاد تكون له أدنى علاقة بالحياة الحقيقية، وقد خصص هؤلاء الباحثون تحاليل واسعة للعنف، التفرقة الجنسية، الشيخوخة، الموت والأقليات ..، يبرهنون فيها على الفرق الشاسع الموجود بين عالم التلفزة والعالم الحقيقي.

إن هدفهم من تحليل رسائل التلفزيون التي تعالج ما هو موجود، ما هو مهم، ما هو سليم وشكل تفاعل الأشياء (الانتباه، التركيز، الاتجاه والبنية) هو الكشف عن محددات الحياة العامة وتصوراتها ومشاكلها من خلال تحليل مضمون التلفزيون في نهاية الأسبوع وخلال ساعات المشاهدة المرتفعة. ولقد ركزت دراسات مدرسة " أننبرغ" على ثلاثة مجالات:

1. **ديمغرافية التلفزيون.**
2. **وصف أدوار الذكور.**
3. **تصورات العنف.**

وتوصلت إلى النتائج التالية:

1. ديمغرافية التلفزيون: تمثيل المجتمع من خلال نماذج وشخصيات: ذكور، عزاب، بيض، متوسطي السن، ينتمون إلى الطبقة الوسطى، يشغلون مهن حرة..،
2. وصف أدوار الذكور: (أدوار رئيسية، وتمثل السلطة، الكفاءة، العقلانية ..) والإناث (أدوار ثانوية ومصالح عاطفية وعائلية)،
3. تصورات العنف: التعبير الظاهر عن القوة الفيزيقية بالسلاح أو بدونه، ضد الذات أو الآخر، التهديد بالجرح أو القتل أو تنفيذ أحدهما.

ولقد توصلوا من خلال رصد مستمر لجميع قنوات التلفزيون في أمريكا ومن 1967 إلى 1978 أن غالبية البرامج (والشخصيات) تتضمن (تشارك في) العنف وبمعدل يتراوح بين 8 و18 مشهدا في الساعة (فيما يخص برامج الأطفال).

وتذهب بحوث تحليل الإنماء الثقافي **(وهو التعلم العرضي الناتج عن التعرض لبرامج التلفزيون)** إلى القول بأن مداومة التعرض للتلفزيون ـ ولفترات طويلة ومنتظمة ـ تنمي لدى اعتقادا بأن العالم المشاهد على الشاشة يعكس صورة طبق الأصل عن العالم المعاش.

كما تذهب "إلى أن جمهور التلفزيون ثلاثة أنواع من حيث كمية مشاهدته لبرامجه:

1. **كثيف.**
2. **معتدل.**
3. **قليل المشاهدة.**

وهم يتفاوتون تبعا لذلك في قوة إدراكهم للواقع المعاش بطريقة متسقة مع ما يشاهدون. فالإنماء يفترض بأن كثيفي المشاهدة يقعون ضحية الخوف والشعور بالتهديد والتشاؤم وقلة الثقة والاغتراب.

<u>النقد الموجه لنظرية المؤشرات الثقافية وتحليل الإنماء:</u>

إذا كان لا أحد يشكك في مساهمة التلفزيون الكبيرة في تشكيل تصوراتنا للواقع المحيط بنا، فإن الشكوك والانتقادات تتمحور عموما حول الطرق المستعملة في إثبات طبيعة الإنماء وكثافته:

- تشير انتقادات "دوب وماكدونالد" (***Doob & McDonald, 1979***) على ضرورة مراجعة العلاقة: التعرض للتلفزيون ـ الخوف من الجريمة.. فالخوف الشديد من الجريمة قد يرجع إلى

العيش في وسط اجتماعي تكثر فيه الجرائم وليس للمشاهدة الكثيفة للتلفزيون. أي ضرورة تحويل السبب من عالم الاتصال إلى عالم انحراف الأحداث.

- أما " هيرش" (***Hirch, 1980***) فقد راجع المعطيات الميدانية التي اعتمدها " جربنر" لبناء فرضية الإنماء ووسع تحليله مضيفا صنفين جديدين (**عديمي المشاهدة والمدمنين عليها: 8 ساعات أو أكثر**) إلى الأصناف الثلاثة الأصلية. وذلك بعدما لاحظه من عدم انسجام تصنيفه للمشاهدة المستمرة للتلفزيون وتداخل بعض فئاته بين اكثر من صنف. وبعدما كرر تجربة " جربنر" توصل إلى نتائج مختلفة عن نتائجه فيما يخص اتجاهات معظم الأصناف (باستثناء صنف " قليلي المشاهد"). واستنتج بأن العلاقة الإنمائية ليست خطية ولا تصاعدية مع نسبة المشاهدة بل هي " منحنية ـ خطية": تقارب اتجاهات عديمي المشاهدة والمدمنين أكثر من تقارب أي صنفين متتاليين من الأصناف الباقية، وكذا اشتداد " الإنماء" عند عديمي المشاهدة.
- يشكك " هيوج" (***Hughes, 1980***) من جهته في فرضيات " جرنبر " وخاصة فيما المتعلق منها بترتيب المتغيرات التي تتسبب في " الخوف من الخروج ليلا" و " التشاؤم".. فليس التلفزيون ـ في تقديره ـ هو الذي يحدث الخوف والاغتراب بل إن الأشخاص الأكثر اغترابا وخوفا هم الذين يميلون نحو المكوث أكثر في بيوتهم، مما يزيد من فرص مشاهدتهم للتلفزيون. فنسبة المشاهدة ليست سببا بل هي نتيجة لمحددات أخرى أهم، ومنها مؤشر انحراف الأحداث الذي ذكره " **دوب وماكدونالد**".

وتجدر الإشارة في الأخير أن " جربنر" ومساعدوه تداركوا بعض هذه النقائص المنهجية في أعمالهم اللاحقة ولكن دون التخلي عن افتراضاتهم الأساسية. ومن ذلك أنهم وسعوا من فرضياتهم ومفاهيمهم لتفسير بعض التناقضات التي كشفها النقاد التخفيف من حمية العلاقة بين كثافة المشاهدة واشتداد الإنماء، فأدخلوا مفهوم التيار السائد (***Main streaming***) نظرية المؤشرات الثقافية وتحليل الإنماء الجارف نحو الإنماء المتوقع رغم قوة المؤثرات الاجتماعية الأخرى و"الرنين" (***Résonance***)المؤدي إلى تضخم الإنماء عند من تؤكد رسائل التلفزيون تجربتهم الشخصية السلبية.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات

التخصص: الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة ماستر1

مقياس نظريات الاتصال الجماهيري2.

المحاضرة رقم (06)

<u>النظرية البنائية الوظيفية</u>:

يعدّ المدخل الوظيفي من أهم المداخل النظرية وأكثرها واقعية، فهو ينظر إلى أي مؤسسة على أنّها شبكة من العلاقات الاجتماعية. إذ أنّ استمرار وجودها يعتمد على التوافق والانسجام بين هذه الشبكة من العلاقات. وإذا كان هذا الصراع بين هذه الشبكة ستنكسر، من هنا جاءت فكرة الواقعية لأنها تحدث تفاعل بين البناء والوظيفة.

والواقع أن التحليل الوظيفي للأنظمة الاجتماعية يعني هو نفسه بنماذج وأنماط السلوك التي تنشأ من أفراد أو مجموعات صغيرة ترتبط ببعضها داخل هذه الأنظمة، كما تقوم هذه النظرية على أن تنظيم المجتمع وبناءه هو ضمان استقراره، وذلك نظرا لتوزيع الوظائف بين عناصر هذا التنظيم بشكل متوازن. فالبنائية تشير إلى تحديد عناصر التنظيم والعلاقات التي تقوم بين هذه العناصر، بينما تشير الوظيفية إلى تحديد الأدوار التي يقوم بها كل عنصر في علاقته بالتنظيم الكلي، وهو مدى مساهمة العنصر في النشاط الاجتماعي ويتحقق الثبات والاتزان من خلال توزيع الأدوار على العناصر بشكل متكامل.

في حقيقة الأمر، فإنّ فكرة البناء الاجتماعي ليست فكرة حديثة العهد، بل إنّها تمتد إلى منتصف القرن التاسع عشر **(19م)**، عندما ظهرت في كتابات " **مونتيسكيو** " وحينها ظهرت فكرة النسق الاجتماعي على أساس أنّ مظاهر الحياة الاجتماعية تؤلف فيما بينها وحدة متماسكة متسقة وذلك عندما تحدّث " **مونتيسكيو** "عن القانون وعلاقته بالتركيب السياسي والاقتصادي والدّين والمناخ وحجم السكان والعادات والتقاليد .. وغيرها ممّا يشكّل في جوهره فكرة البناء الاجتماعي.

لقد اهتم " **أوغست كونت** " بمسألة " **الإستاطيكة الاجتماعية** " وما يعني الاستقرار الاجتماعي، حيث كان هدفه هو البحث عن العوامل (الأسباب) التي تحفظ للمجتمع استقراره وتوازنه واستمراره. وهذا ما جعله يغفل إلى حد ما البحث المعمق في مسألة " **الديناميكية الاجتماعية** " أو ما يسمى بـ" **التغيير الاجتماعي**".

كما عرّف " **الإستاطيكة الاجتماعية** " على أنها: " **القوانين التي توجه سلوك الأفراد وردود أفعالهم في أجزاء البناء الاجتماعي المختلفة** ". إضافة إلى هذا، فقد أكد " **أوغست كونت** " على أنّ التوازن يعني وجود حالة من الانسجام بين الأجزاء المكونة للمجتمع الكلي، وأنّ حدوث أي خلل في البناء هو بالتأكيد في سبب وجود حالة مرضية في المجتمع ككل.

ولقد حذا حدوه " **مالينوفيسكي *MalinoVsky*** " عندما طالب بضرورة وجود مدرسة وظيفية مستقلة تقف في مواجهة النزعة التطورية (الراديكالية).

ثم ظهرت البنائية الوظيفية بصورة واضحة وعلمية في كتابات " **هربرت سبينسر**"، وذلك من خلال المماثلة العضوية.، أي تشبيه المجتمع بالكائن العضوي. وكان " **هربرت سبينسر**" يؤكد على وجود التساند الوظيفي والاعتماد المتبادل بين نظم المجتمع في كل مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي.

كما بلغت المقاربة الوظيفية ذروتها في تفكير الباحث الاجتماعي " **إيميل دوركايم**"، حيث يرى " **إيميل دوركايم**" أنّ سبب وجود النظم الاجتماعية هو إشباع حاجات اجتماعية معينة في المجتمع. كما ذهب في كتابه " **قواعد المنهج في علم الاجتماع** " إلى أنّ الظاهرة الاجتماعية لابدّ وأن تكون لها وظيفة اجتماعية، لأنها تؤدي بالضرورة إلى نتائج مفيدة، لذلك يرى أنّ السبب والوظيفة يرتبطان بأهداف وغايات محددة خاصة تلك الغايات التي تعنى بتحقيق التضامن والمحافظة على المجتمع ككل عضوي.

أما الباحث الاجتماعي " **تالكوت بارسونز *Talcot Parsons*** " فقد قدم إسهامات نوعية للنظرية الوظيفية. فقد كان الدافع الأساسي لـ " **تالكوت بارسونز *Talcot Parsons*** " من وراء تبني التحليل الوظيفي النسقي لدراسة الواقع الاجتماعي هو الاهتمام الشديد بقصة النظام والاستقرار أو البحث عن العوامل التي تؤسس لبناء الفعل أو التكامل الاجتماعي وتدفعها إلى حالة الاستقرار النسبي.

ومعنى الفعل الاجتماعي عند " **بارسونز**" فهو مرتبط بمفهوم النسق الاجتماعي الكلي. ويعرف " بارسونز" الفعل الاجتماعي بأنه: " **عبارة عن فاعلين يحتل كل واحد منهم مركزا أو مكانا متميزا، أمّا فهو عبارة عن نمط معين يحكم علاقات الأعضاء داخل النظام الواحد ويصف حقوقهم وواجباتهم اتجاه لعضهم البعض** ".

لذلك يرى أنّ سلوك الفرد لا ينبع من فراغ أو رغبة ذاتية ولكنه نابع من تفاعله مع الآخرين ليظهر هذا السلوك على شكل تصرف منتظم وملتزم وموجه. كما يرى من جهة ثانية، أنّ المجتمع هو عبارة عن نسق كلي يضم بداخله مجموعة من الأنساق الفرعية المتضامنة مع بعضها البعض، بغرض تحقيق التوازن الاجتماعي العام وكل نسق من هذه الأنساق الفرعية يمكن تحليلها إلى أنساق فرعية أخرى.

كما اعتمد " **بارسونز** " في نظريته حول التنظيم الاجتماعي على رؤيته للكائن البشري باعتباره فاعلا يصنع القرار ويخضع لضغوط معيارية، وعوامل الموقف التي من شأنها تجديد حاجات النسق (النظام) ووظائفه لفهم السلوك الاجتماعي . كما وضع " **بارسونز** " خمسة (05) مبادئ أساسية تتعلق بالمجتمع، وهي على النحو التالي:

- ✓ النسق الاجتماعي يوجد وجودا مستقلا متميزا في حد ذاته.
- ✓ كل بناء اجتماعي يؤدي عددا من الوظائف الأساسية.
- ✓ يتكون النسق من الأنساق الفرعية.
- ✓ المجتمع يتميز بالتجانس والاستقرار.
- ✓ النسق الاجتماعي ليس نسقا جامدا، فعلى العكس من ذلك يمتلك النسق القدرة على التطور.

أمّا الباحث السوسيولوجي " **روبرت ميرتون** " فقد أعطى للوظيفية قدرا بالغا من الأهمية وأكسبها قدرا كبيرا من العلمية والوضوح، كما تمكّن من عرض جوهر التحليل الوظيفي والإجراءات وأساليب الاستدلال فيه. كما خلص " **روبرت ميرتون** " إلى وجود قضية نظرية هامة بالنسبة للتحليل السوسيولوجي هي انّه كما أنّ العنصر الواحد يمكن أن يؤدي وظائف مقصودة، كذلك فإنّ للوظيفة الواحدة يمكن أن تقوم بها عناصر بديلة ومختلفة.

ومن التعريفات الشهيرة للنظرية الوظيفية، ذلك الذي قدمه " **روبرت ميرتون** "، حيث قال: " **إنّها تلك النتائج أو الآثار التي يمكن ملاحظتها والتي تؤدي إلى تحقيق التكيف والتوافق في نسق معين** ".والوظيفة قد تكون ظاهرة أو كامنة، أي ليس بالضرورة أن يكون لكل ظاهرة وظيفة أو وظائف واضحة أو مقصودة، ولذلك على الباحث الاجتماعي أن يبحث عنها من خلال تحليل المناشط الاجتماعية.

كما يؤكد " **روبرت ميرتون** " على وجوب أن يقوم التحليل الوظيفي على ثلاثة (03) مسلمات رئيسية، وهي على النحو التالي:

- **نسبية الوظيفة:** ومعنى ذلك أنّ العناصر الاجتماعية والثقافية قد تكون وظيفية بالنسبة لمجموعات معينة، وقد تكون غير وظيفية بالنسبة لمجموعات أخرى.
- **البدائل الوظيفية:** أي التعدد والتنوع الممكن أو الموجود في الوسائل التي تشبع الحاجات ــ هذا بطبيعة الحال ــ مع تعدد الوظائف بالنسبة للعنصر الواحد، وإشراك عدّة عناصر في تحقيق وظيفة واحدة.
- **تحديد الوحدات الاجتماعية:** والتي تخدمها العناصر الاجتماعية والثقافية. فبعض العناصر قد تكون ذات وظائف متعددة، وقد تكون بعض نتائجها ضارة وظيفيا.

كما استخدم " **روبرت ميرتون** " التحليل الوظيفي كمنهجية في دراسته للبناء الاجتماعي واللاّمعيارية (***Structure And Anomie Social***) حيث طبق الوظيفية لدراسة السلوك المنحرف من خلال تحليل مصادره الاجتماعية والثقافية، وذلك قصد الكشف عن مختلف الضغوطات التي يمارسها البناء الاجتماعي على أشخاص معينين في المجتمع لممارسة سلوك غير امتثالي. وقد أشار في هذا الصدد " **روبرت ميرتون** " بأنّه: " **ليست كل أشكال النسق الاجتماعي يمكن أن تكون فاعلة في جميع الأزمات، فإنّ بعض عناصر النسق يمكن أن تفكك التوازن والاستقرار الاجتماعي، وبالتالي فإنّ وظائف المجتمع تصبح مختلة** ".

كما أعطى " **روبرت ميرتون** " مثال على ذلك، حيث رأى أنّ معدل الولادات المرتفعة في الدول النامية تحدث خللا في وظائف تلك المجتمعات، لأنّ اقتصادها غير قادر على دعم تلك الزيادة المضطردة في السكان.

ويقوم التحليل الوظيفي عند الباحث " **روبرت ميرتون** " على ثلاثة (03) آليات لتنفيذه، وهي على النحو التالي:

- **التجربة العقلية:** حيث يرى " **روبرت ميرتون** " بأنّه يمكننا في بعض الأحيان أن نقدر عقليا ما سيقع أو ما سيحدث في مجتمع ما إذا أدّى بناء جزئي وظيفته، أو اضطراب في تأديتها.
- **المنهج المقارن:** وتطبيق المنهج المقارن يكون ــ حسب " **روبرت ميرتون** " ــ إمّا كيفيا، وذلك من خلال المقارنة بين موقفين اجتماعيين بالنظر إلى وجود خاصية معينة أو بناء جزئي، وإمّا كميا مثل نموذج (سوركين) الذي قام بقياس الفن الديني في الثقافتين العلمانية والدينية.

❖ **الملاحظة:** العمل على الملاحظة وتحليل مختلف الاضطرابات في أس مجتمع، والتي تكون دوافعها داخلية أو خارجية، أو كليهما مثل دراسة نتائج مختلف الحروب.

ومن جهته فقد عنى روبرت ميرتون ***Merton*** بدراسة التنظيمات وقدم نموذج " **المعوقات الوظيفية *Dysfonctions***" والتي تعني تقصير بعض النظم الاجتماعية عن أداء وظائفها من اجل إشباع الحاجات الاجتماعية وبالتالي فقد اهتم ميرتون بدراسة البنية التنظيمية وقدمها على أنها تحمل في داخلها **مثيرات الخلل الوظيفي** وأنها تؤدي أحيانا إلى انخفاض الكفاءة التنظيمية.

يرجع "**دور كايم**" **الأزمة** التي تعترض النظام الاجتماعي العام إلى فقدان المعايير والقيم (الأنومي، ***Anomie***) في نمط مجتمعات التضامن العضوي التي تتميز بتقسيم العمل، فهو يرى أن كل ما يؤذي الرابطة الاجتماعية بين الأفراد مثل توتر العلاقات الناشئة عن تقسيم العمل الاجتماعي من شأنه أن يضعف مجتمع التضامن العضوي ويؤثر على توازنه واستقراره، وهي حالة مرضية لأنها تعني افتقاد النظام الطابع المتسامي الذي كان يضعه في مكانه أعلى من مصالح الأفراد، وعليه فإن: " **أزمة المجتمع كما رآها دور كايم إذن هي أزمة أخلاق داخل النظام**".

وفي نفس السياق، يرى" **تالكوت بارسونز** " أنه عندما يحدث اختلال في توازن النظام الاجتماعي يظهر انحراف عن المعايير والثقافة السائدة في النظام، " فالناس يكتسبون القيم والمعايير (القواعد) والأدوار الأساسية من خلال التنشئة الاجتماعية، وأن النجاح في اندماج قيم المجتمع ومعاييره وأدواره شرط لازم للنظام الاجتماعي، وأن الإخفاق في اكتسابها او قبولها علامة على الانحراف".

فالأزمة عند **بارسونز** يمكن إرجاعها إلى اختلال نظام القيم والمعايير في النسق الاجتماعي ككل، ويرى أن للنظام أربعة وظائف، وهي:

- ✓ وظيفة التكيف.
- ✓ تحقيق الهدف.
- ✓ وظيفة التكامل.
- ✓ وظيفة الوقاية أو الصيانة.

أما "**روبرت ميرتون**" فيؤكد أن الأزمة تظهر بوجود خلل وظيفي، وقد تناول "ميرتون" الخلل والمعوقات الوظيفية في كتابه "النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي" والذي حدد فيه صراحة بأنه يوجد مظهرين أساسيين للعناصر الاجتماعية والثقافية، وهي:

❖ عناصر ايجابية.

❖ عناصر غير وظيفية.

ويظهر الخلل الوظيفي كنتيجة لعدم التكيف على المستوى المجتمعي وعلى المستوى الفردي.

ورغم تعدد آراء الباحثين التقليديين والمعاصرين حول مفهوم الوظيفية، إلاّ أنّهم يجمعون فيما بينهم على بعض القضايا التي تشكل في جملتها الصياغة النظرية للوظيفية في علم الاجتماع. ولقد قامت هذه النظرية على جملة من الافتراضات الجوهرية، لعلّ من أهمها ما ذكره " **فان دن برج** ":

- الأجزاء المكونة للمجتمع متكاملة، وأنّها ذات اعتماد متبادل ومتساند على شكل معين. إذ تساهم هذه الأجزاء بطريقة معينة في تدعيم الكل (**أي المجتمع**).
- أجزاء المجتمع مترابطة ببعضها البعض على الرغم من استقلالها الظاهري. بمعنى آخر، أنّه رغم أنّ التكامل لا يكون تاما على الإطلاق. إلاّ أنّ الأنساق الاجتماعية تخضع لحالة من التوازن الديناميكي.
- أنّ أي تغير يصيب جزء من الكل، يصاحبه تغير متشابه في باقي الأجزاء الأخرى، وبالتالي في المجتمع ككل نتيجة الترابط الحاصل في أجزاء المجتمع. أي أنّ التوازن والانحرافات والقصور يمكن أن يكون داخل النسق.
- إنّ البناء الاجتماعي الكلي المكون من الأنساق والنظم والمؤسسات مترابط ومتناسق ومنسجم داخله، حيث تعمل جميعها في ظل الكل (**المجتمع**) على تحقيق التوازن والتكامل والاستقرار الاجتماعي أو ما يسميه أصحاب هذه النظرية بـ " **التكامل البنائي والتساند الوظيفي** ".
- إنّ بعض العمليات المكررة، والنمطية تتسم بالحتمية وهي مستمرة في وجودها. أي أنّ هناك شروطا أولية وظيفية تلبي الحاجات الأساسية للنظام ولا تستطيع الاستمرار دونها.
- يحدث التغير بصفة تدريجية تلائمية.
- يأتي التغير من مصادر ثلاثة، تتمثل في: تلاءم النسق وتكييفه، النمو الناتج عن الاختلاف الوظيفي والتجديد والإبداع.

لذلك، يمكننا أن نلاحظ، أنّ اهتمام هذه النظرية أو هذا الاتجاه الفكري قد انصب على دراسة نوعية العلاقة بين مختلف الأجزاء من جهة أو بينها وبين الكل من جهة أخرى. لأنّ نظرتها للكل تنحصر في

كونه عبارة عن جملة من العناصر المترابطة التي تعمل جميعها على تحقيق التوازن بداخله، وهذا من خلال توزيع الأنشطة فيما بينها بغرض المحافظة على النظام الاجتماعي العام واستقراره. لذلك، فالمجتمع من وجهة نظر الوظيفية لا يمكن أن يكون مستقرا إلاّ إذا أدت هذه النظم أو المؤسسات التي يحددها هو نفسه جميع الوظائف التي وجدت لأجلها. ومن النظم والمؤسسات التي يتكون منها البناء الاجتماعي الكلي نجد المؤسسات الإعلامية.

وظائف وسائل الإعلام من وجهة نظر بعض الرواد:

يلاحظ المتابع للدراسات الإعلامية أنه لا يوجد اتفاق أساسي حول وظائف وسائل الإعلام في المجتمع، وكثيرا ما يتم الخلط بين الوظائف والتأثيرات، فبينما تهتم الوظائف بالدور العام الذي تؤديه وسائل الإعلام، نجد أن التأثيرات هي نتائج وتحديد لهذه الأدوار العامة، وسوف نعرض فيمايلي لآراء بعض الباحثين بشأن وظائف وسائل الإعلام في المجتمع:

❖ **مفهوم "لاسويل" للوظائف المجتمعية:**

حدد " لاسويل" ثلاثة (03) وظائف لوسائل الإعلام افترض وجودها في جميع المجتمعات، وهي:

1. **مراقبة البيئة:**

وذلك من خلال تجميع المعلومات وتوزيعها سواء أكان داخل المجتمع أم خارجه، حتى يتمكن المجتمع من التكيف مع الظروف المتغيرة، وتستخدم مراقبة البيئة كتحذير مبكر للنظام لتوفير المعرفة اللازمة لاتخاذ القرارات.

2. **ترابط أجزاء المجتمع في استجابة للبيئة:**

إيجاد الترابط بين أجزاء المجتمع أو ردود أفعال المجتمع تجاه البيئة المحيطة، يؤدي إلى تطور الرأي العام، فمن خلال الاتصال يتم يتم تكوين الرأي العام. وبدون الرأي العام لن تستطيع الحكومة أن تقوم بدورها، فلابد أن يوجد نوع من الترابط بين أجزاء المجتمع حول القضايا الأساسية، وفي المجتمع الديمقراطي يتم توحيد الرأي العام من خلال تسليط الضوء على القضايا التي تهم المجتمع، ويرى " لاسويل" أن خير من يقوم بهذه الوظيفة المحررون، الصحفيون والمتحدثون في وسائل الإعلام.

3. **نقل التراث الاجتماعي عبر الأجيال:**

كان الأباء والأمهات هم الذين ينقلون التراث الثقافي الاجتماعي عبر الأجيال، وأصبحت وسائل الإعلام تقوم بدور أكبر في هذا المجال مثل: الصحف والمحطات الراديو والتلفزيون والسينما والكتب والعديد من وسائل الإعلام التي تقدم أطر مشتركة مرجعية للمجتمع، وتعمل وسائل الإعلام على تمرير القيم والتقاليد من الأجيال السابقة إلى الأجيال التالية. ويرى " لاسويل" أن المجتمعات البدائية لم تكن في حاجة لممارسة هذه الوظيفة من وسائل الإعلام، بسبب العيش في نطاق العائلات أو القرى المنعزلة حيث يحدث التفاعل المباشر بين كل أفراد المجتمع. ولكن مع تطور المجتمعات وحدوث التمدين والوفرة بدأ يحدث نوع من الانعزال والتناثر، واصبح دور وسائل الإعلام في التنشئة الاجتماعية ونقل الميراث الاجتماعي وظيفة أساسية.

كما فطن " لاسويل" إلى أن وسائل الإعلام يمكن أن تصبح " غير وظيفية"، أي تحدث آثارا ضارة للمجتمع.

❖ **مفهوم " لازارسفيلد" و "ميرتون" للوظائف المجتمعية:**

حدد كل من " بول لازار سفيلد" و" روبرت ميرتون" ثلاث وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع هي:

1. **التشاور (تبادل الآراء):**

في أي مجتمع لا بد من توافر وسائل للتشاور وتبادل الآراء والأفكار والقضايا، وتقوم وسائل الإعلام بهذه الوظيفة في المجتمع الحديث لإضفاء الشرعية على أوضاع المجتمع.

2. **تدعيم المعايير الاجتماعية:**

تساعد وسائل الإعلام في إعادة التأكيد على المعايير الاجتماعية من خلال معاقبة الخارجين عن هذه المعايير، فهناك غالبا فجوة بين الأخلاقيات العامة في المجتمع، والسلوك الخاص لبعض الأفراد، فجوة بين ما نقول إننا نؤمن به، وما نفعله في الواقع. هذه الانحرافات يمكن التسامح معها معظم الوقت مالم يتم فضحها، فالنشر يسبب التوتر، والتوتر يؤدي إلى التغيير، وبالتالي لا بد من الحفاظ على المعايير والقيم الاجتماعية.

3. **التخدير (الخلل الوظيفي):**

أدرك " لازار سفيلد" و"ميرتون" كما سبق أن أدرك "لاسويل" أن وسائل الإعلام يمكن أن تسبب خللا وظيفيا، أي تحدث أثارا غير مرغوب فيها للمجتمع، ولكنهما أكدا على نوع مختلف من الخلل الوظيفي وهو ما أسموه " التخدير". ويحدث ذلك من خلال زيادة مستوى المعلومات للجمهور، حيث يتسبب طوفان

المعلومات لأعداد كبيرة من الناس إلى جرعات من المعلومات التي تحوّل معرفة الناس إلى معرفة سلبية، ويؤدي ذلك إلى الحيلولة دون أن تصبح نشاطات البشر ذات مشاركة فعالة نشيطة، وبالتالي توجد "اللامبالاة" لأن وسائل الإعلام تغمر الناس بالمعلومات بدلا من أن توقظ الجمهور (وهو المقصود)، فإنها تؤدي في النهاية إلى تخدير الجمهور.

❖ **مفهوم "ولبير شرام" للوظائف المجتمعية:**

قدم " **ولبير شرام**" ثلاث وظائف عامة لوسائل الإعلام وخاصة في مجال التنمية الشاملة، وهي:

1. **وظيفة المراقب:** وذلك لاستكشاف الآفاق، وإعداد التقارير عن الأخطار، والفرص التي تواجه المجتمع.
2. **الوظيفة السياسية:** وتتم من خلال المعلومات التي تتيح اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة، والقرارات القيادية وإصدار التشريعات.
3. **التنشئة:** وذلك من خلال تعليم أفراد المجتمع الجدد المهارات والمعتقدات التي يقدرها المجتمع.

❖ **مفهوم "ماكويل" للوظائف المجتمعية:**

يذهب "ماكويل" إلى أن الوظائف الأساسية لوسائل الإعلام في المجتمع تنحصر فيما يلي:

1. **الإعلام:** ويعني نشر المعلومات الخاصة بالوقائع والأحداث التي تقع داخل المجتمع وخارجه، وتحديد اتجاهات القوى الفاعلية والعلاقات بينها، وتسهيل عملية التحديث والتقويم من خلال التعرف على المستحدثات في التجارب الأخرى.
2. **تحقيق التماسك الاجتماعي:** وذلك من خلال الشرح والتفسير والتعليق على الأفكار والأحداث والمعلومات، ثم تدعيم الضبط الاجتماعي والمعايير الخاصة به، وكذلك التنشئة الاجتماعية، ودعم الإجماع حول القضايا والمواقف المختلفة.
3. **تحقيق التواصل الاجتماعي:** وذلك من خلال التعبير عن الثقافة السائدة والكشف عن الثقافات الفرعية، والثقافات النامية، ودعم القيم الشائعة.
4. **الترفيه:** ويتمثل في تقديم التسلية، وتهيئة الراحة والاسترخاء، والقضاء على التوتر الاجتماعي.
5. **التعبئة:** وتتمثل في المساهمة في الحملات الاجتماعية، وبصفة خاصة في الأزمات السياسية والاقتصادية والحروب.

❖ **مفهوم "ليزلي مولر" للوظائف المجتمعية:**

يرى (***Leislie Moeller***) وجود تسع (09) وظائف لوسائل الإعلام في المجتمع، وهي على النحو التالي:

1. وظيفة الإخبار والتزود بالمعلومات ومراقبة البيئة.
2. الربط والتفسير بهدف تحسين نوعية المعلومات، وتوجيه الناس لما يفكرون فيه وما يفعلونه.
3. الترفيه، وهدفه التحرر العاطفي من التوتر والضغوط والمشكلات.
4. التنشئة الاجتماعية: وهدفها المساعدة في توحيد المجتمع من خلال توفير قاعدة مشتركة للمعايير والخبرات الاجتماعية.
5. التسويق، وهدفه تريج السلع والخدمات.
6. قيادة التغيير الاجتماعي في المجتمع
7. خلق المثل الاجتماعي، وذلك بتقديم النموذج الإيجابي في الشؤون العامة والأدب والثقافة والفنون.
8. الرقابة على مصالح المجتمع وأهدافه.
9. التعليم.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة. كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. قسم علوم الإعلام والاتصال وعلم المكتبات

التخصص: الاتصال الجماهيري والوسائط الجديدة ماستر1

مقياس نظريات الاتصال الجماهيري2.

المحاضرة رقم (08)

نظرية التفاعلية الرمزية:

برز مبدأ ارتباط العادات اللغوية بسلوك الناس في علم الاجتماع كطريقة لتحليل كيف يكتسب الناس تحديدات مشتركة لمعاني الأشياء، بما في ذلك قواعد الحياة الاجتماعية، وذلك بالتفاعل مع الآخرين عن طريق اللغة، أو كما يميل علماء الاجتماع إلى القول بأنه من خلال " تبادل التفاعل الرمزي".

وهناك خيطان منفصلان إلى حد ما حول فكرة تبادل التفاعل الاجتماعي والمعاني المشتركة كأساس للتفسير الفردي للعالم الموضوعي. وقد تبنى الخيط الأول عالم النفس الاجتماعي "**تشارلز هورتون كولي**" الذي رأى أن الناس يستطيعون الانتساب إلى بعضهم بعضا ليس على أساس صفاتهم الموضوعية كما هي موجودة في الواقع، ولكن من خلال "الانطباعات" التي يخلقها كل منهم لدى الآخرين من خلال عملية التفاعل بينهم. وأطلق "**كولي**" على هذه الانطباعات اسم "الأفكار الشخصية". فنحن نكوّن فكرة شخصية عن كل فرد نعرفه، وكذلك عن أية جماعة من الناس. وبالتالي تصبح "الفكرة الشخصية" عبارة عن بناء للمعنى، أي مجموعة من الصفات التي نتخيلها ونسقطها على كل من أصدقائنا ومعارفنا كتفسير لشخصياتهم الواقعية، وكقاعدة للتنبؤ بسلوكهم، والتنبؤ بسلوك الآخرين الذين يبدون مشابهين لهم.

أما الخيط الثاني فقد تبناه العالم "**جورج هربرت ميد**" الذي رأى أن المقدرة على الاتصال بالآخرين تعتبر مفتاحا لأفكار الفرد، وعلى الرغم من أن الإنسان يستطيع أن يبني مفاهيم عن نفسه بالطريقة التي اقترحها "**تشارلز كولي**"، فإنه يستطيع أن يتعلم أيضا كيف يتوقع تصرفات الآخرين، وما سوف يعتبرونه سلوكا مقبولا اجتماعيا.

وأشار "**جورج ميد**" إلى أنه لكي ننتسب للآخرين، فإن علينا أن " نلعب أدوارهم" بمعنى أننا يجب أن نتعلم متطلبات القيام بجميع الأدوار المحددة في جماعة، ثم نستخدم هذه المفاهيم لتوقع كيف يستجيب الآخرون في أدوار معينة لتصرفاتنا.

وهناك امتداد معاصر لمفهوم التفاعل الرمزي عند "**كولي**" و"**ميد**" يسميه علماء النفس الاجتماعي "نظرية التسمية أو البطاقة أو العلامة". وتستخدم هذه النظرية في دراسة السلوك المنحرف. والفكرة الأساسية لهذه النظرية هي أن الشخص الذي يخرق القانون أو يتجاوز أي سلوك طبيعي "يدمغ" رسميا بواسطة إحدى وكالات المجتمع. وهذه العلامة أو الاسم أو الوصف الذي يطلق على من ارتكب المخالفة، يصبح عندئذ صفة كبرى أو معنى عاما بالنسبة للشخص، ويحدد كيف يتصرف الآخرون اتجاهه، ويؤدي ذلك في النهاية إلى إحداث تغييرات في مفهوم الشخص عن ذاته. وعلى سبيل المثال فإن صفات مثل: مريض عقلي أو "صاحب سوابق" أو "حدث منحرف" أو "عاهرة"، كلها تثير معاني قوية، وتجعلنا نعامل الشخص الموصوف بها بطريقة سلبية.

ومن الصعب الهروب من هذه التصنيفات حتى لو كانت تمثل فترة عارضة من حياة الفرد. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه الصفات قد تكون ظالمة، وعلى سبيل المثال: فإن الفرد قد يشفى من المرض العقلي، أو يصحح من سلوكه المنحرف، ومع ذلك يظل في نظر المجتمع حاملا لهذه الصفة أو تلك العلامة.

ويمكن تحديد الفروض الأساسية لنظرية التفاعلية الرمزية فيما يلي:

1. إن أفضل طريقة للنظر إلى المجتمع هي اعتباره نظاما للمعاني. وبالنسبة للأفراد فإن المساهمة في المعاني المشتركة المرتبطة برموز السلعة تعد نشاطا مرتبطا بالعلاقات بين الأشخاص تنبثق منه توقعات ثابتة ومفهومة لدى الجميع، تقود السلوك الإنساني في اتجاه النماذج التي يمكن التكهن بها.

2. من وجهة نظر السلوكية، تعد الحقائق النفسية والاجتماعية بناءا مميزا من المعاني. ونتيجة لمشاركة الناس في التفاعل الرمزي الفردي والجماعي، فإن تفسيراتهم للواقع تمثل دلالة متفقا عليها من الناحية الاجتماعية، وذات إيقاع محدد من الناحية الفردية.

3. إن الروابط التي توحد الناس والأفكار التي لديهم عن الآخرين، ومعتقداتهم حول أنفسهم، تعد كلها أبنية شخصية من المعاني الناشئة عن التفاعل الرمزي.. وهكذا، فإن المعتقدات الذاتية لدى الناس عن أنفسهم وعن الآخرين هي أهم حقائق الحياة الاجتماعية.

4. إن السلوك الفردي في موقف ما يتوقف على المضامين والمعاني التي تربط الناس بهذا الموقف.. وهكذا، فالسلوك ليس رد فعل أوتوماتيكيا أو استجابة آلية لمؤثر خارجي، ولكنه ثمرة أبنية ذاتية حول النفس والآخرين والمتطلبات الاجتماعية للموقف.

علاقة التفاعلية الرمزية بالاتصال:

من الواضح أن وسائل الاتصال الجماهيرية تمارس دورا مهما في المجتمعات الحديثة. فهي تقدم تفسيرات للواقع بالكلمة والصورة والحركة واللون وتضفي على من يتلقون الرسالة الإعلامية صبغة ذاتية. ويبني الأفراد معاني مشتركة للواقع المادي والاجتماعي من خلال ما يقرأونه أو يسمعونه أو يشاهدونه. ومن ثمّ، فإن سلوكهم الشخصي والاجتماعي يمكن أن يتحدد جزئيا من خلال التفسيرات التي تقدمها وسائل الإعلام للأحداث الاجتماعية والقضايا التي لا توجد مصادر معلومات بديلة عنها. ويعد هذا أحد أعقد النماذج المستخدمة في بحوث الاتصال، وهو ضروري لفهم التأثيرات غير المباشرة وبعيدة المدى لوسائل الإعلام سواء أكان ذلك على مستوى الأفراد أم المجتمعات.

ولعلّ المؤلف الكلاسيكي الذي كتبه "**والتر ليبمان**" بعنوان "الرأي العام" سنة 1922 من أبرز الأمثلة على أن الصفات الحقيقية للواقع الاجتماعي ليست لها علاقة غالبا بمعتقدات الناس حول هذا الواقع. فقد ناقش هذا الكتاب كيف أن التفسيرات التي تقدمها الصحف عن الأحداث يمكن أن تغير بشكل كبير تفسيرات الناس عن الواقع الحقيقي، وبالتالي تغير أيضا من أنماط سلوكهم تجاه هذا الواقع. والنقطة المهمة التي سعى "**ليبمان**" لإيضاحها هي أن طريقة تصوير الصحافة للعالم خلال فترة الحرب العالمية الأولى كانت زائفة غالبا لأنها كانت مضللة جدا، وتخلق صورا مشوهة في الأذهان عن العالم الحقيقي. وعلى سبيل المثال: عندما ذكرت الصحف في 6 نوفمبر 1918 نبأ الاتفاق على الهدنة (وكان ذلك خبرا زائفا لأن الهدنة لم تتحقق إلا بعد ذلك بخمسة أيام)، كان الناس يحتفلون ويبتهجون بسبب صورة زائفة عن الواقع. وفي نفس الوقت، كان ألوف الشباب يلقون حتفهم في ميدان المعارك.

واستنتج "**ليبمان**" من ذلك أن الناس يتصرفون ليس على أساس ما يحدث أو ما قد وقع فعلا، ولكن على أساس ما يعتقدون أنه الموقف الحقيقي. وهذا الموقف حصلوا عليه من الصور التي نقلتها لهم الصحف، وهي معان وتفسيرات ليس لها في الغالب سوى نصيب محدود مما حدث فعلا، وهذا من الممكن أن يؤدي إلى سلوك لا علاقة له بحقيقة ما يجري في الواقع الحقيقي.

والذي لم يتوقعه "**ليبمان**" 1922 أن نظريته عن الصحافة تنطبق أيضا على وسائل الإعلام الأخرى مثل: الراديو والتلفزيون، والتي تنقل أيضا بناءات مشوهة أو زائفة عن الواقع الاجتماعي.